Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

The Miraculous Space in the Narrative of Imam Hussain's (peace be upon him) Murder

الفضاء العجائبي في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)

م.م. رؤى عبد الامير رحمة عطية العبادي
جامعة البصرة، كلية التربية/القرنة

م.م. فاطمة محمود محي سعيد السعيد
مديرية تربية البصرة، قسم تربية أبي الخصيب

Abstract:

The research deals with the miraculous space in the murder of Imam Hussain (peace be upon him) due to its importance. The Narrative of the Murder story is a narration of what had happened in the form of a major incident that rises to the narrative epic with all its contents. It is a struggle between eschatological immortality and earthly extinction, and its basis is the struggle between good and evil.

The Narrative of Imam Hussain's Murder is the first dramatic epic in the history of Arab prose. The research notes the miraculous merging of time and place in it, and its events were very rich. The research studied the miraculous space in the form of a binary: (the threshold space / connecting space), and the most prominent of what was in this binary (the horse, the soil, the honorable head, the vision, the blood and the crow)

The Narrative includes purposeful ideological speeches in a non-artificial way, by combining the miraculous and the real at the same time, as the killing is full of dignities related to Imam Hussain (peace be upon him), as he (peace be upon him) was the miraculous character who led the events of the battle with unprecedented wisdom and courage.

The miraculous one is included in the text of the killing within the religious miraculous and its context is full of miracles by which the Almighty Allah (SWT) violated the laws of the universe at the hands of his prophets, apostles and saints.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

The Keywords: Narrative, Miraculous, space, prose, Islamic

الملخَّص:

تناولَ البحث الفضاء العجائبي في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) لأهميتهِ؛ فالمقتل إخبار لما وقع من أحداث على شكل واقعة كبرى ترتقي الى الملحمة السردية بكل مضامينها؛ فهو صراع بين الخلود الأخروي والفناء الدنيوي، وأساسهُ الصراع بين الخير والشر.

والمقتل هو أول ملحمة درامية في تاريخ النثر العربيّ، وقد لاحظَ البحث اندماج الزمان والمكان العجائبيينِ فيه، وقد كانتْ احداثهُ ثرية جدا. وقد درسَ البحث الفضاء العجائبي على شكل ثنائية:(فضاء العتبة/الفضاء الواصل)، وأبرز ما كان في هذه الثنائية(الفرس والتربة والرأس الشريف والرؤيا والدم والغراب).

ويتضمن المقتل خطابات إيديولوجية هادفة بطريقة غير مصطنعة، وذلك من خلال الجمع بين العجائبية والواقعية في آنٍ معا، فالمقتل حافل بالكرامات المتعلقة بالإمام (عليه السلام)، إذْ كان (عليه السلام) الشخصية العجائبية الفذة التي قادتْ أحداث المعركة بحكمة وشجاعة لم يسبق لهما نظير.

ويندرج العجائبي في نص المقتل ضمن العجائبي الديني، وسياقهُ ممتلِئ بالمعجزات التي خرق الله بها قوانين الكون على أيدي أنبيائهِ وأوصيائهِ وأوليائهِ.

الكلمات المفتاحية: سرد، عجائبي، فضاء، نثر، إسلامي

المقدمة

إنَّ السرد في مقتل الإمام الحسين (عليه السَّلام) هو سردٌ ملحميّ لهُ خصوصيتهُ وخصائصه، إذ لا هو تاريخ محض ولا قصة أو رواية، فهو يبدو واقعة تاريخية تنتمي إلى الوقائع والأيام فنقول (واقعة كربلاء) كما نقول (يوم عاشوراء).

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

فالمقتل إخبار لما وقع من أحداث على شكل واقعة كبرى ترتقي الى الملحمة السردية بكل مضامينها، فهو صراع بين الخلود الأخروي والفناء الدنيويّ وأساسه الصراع بين الخير والشر.

إنَّ العصر الاموي كان يمثل بداية الرجعية الفكرية والدينية، وتمجيد القيم الجاهلية،

وهذه القيم متمثلة بيزيد بن معاوية الذي أرادَ أنْ يعيد الامتداد الجاهلي ليعود هو إلى المركز بعد أنْ اصبحَ هامشاً في الاسلام، وهو (ابن الطلقاء) تحت ظل الدولة الإسلامية، وهو لقب مهين وموثق لهامِشية بني أمية، لكنَّ يزيد قد تقنَّع بكل ما هو ديني ومركزي ليضفي الشرعية على أهدافه وليكسب النسق ويسكت رعاته.

والنسق السابق في حالة صراع مع النسق الإسلامي السائد محاولاً الأول القفز من خلال الثاني إلى المركز، وكان النسق الإسلامي متمثلا بالإمام الحسين(عليه السَّلام)ابن النبي محمد(صلى الله عليه وآله)، فهو مركز الدين الإسلامي وقلبه الذي ينبض بالقرآن؛ لذلك أمر يزيد جنوده بسحق الإمام بحوافر الخيل وتقطيع جسده الشريف وتمزيقه إلى أجزاء، ويمثل ذلك سحقا للدين المحمدي وتمزيقاً للقرآن الكريم، وكان الحسين قرباناً وفداءً لدين جده والقرآن الكريم، وبفضل الحسين(عليه السَّلام) حُفِظ القران؛ إذ بعد واقعة كربلاء صحتِ الامة من سباتها وبانَ لها أهل الحق من أهل الباطل، ونستدل على ذلك بأنَّ رأس الإمام الحسين عليه السلام كان يتلو القرآن في مواضع عدَّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تصريح الإمام علي بن الحسين(عليه السلام) بأن الحسين (عليه السلام) هو المنتصر، وذلك عندما عاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين(عليه السَّلام)الى المدينة((جاء إليه ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: من الغالب؟ فقال عليه السلام: إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقمْ تعرف الغالب))[1]

وبناءً على ذلك فإنّ المقتل نص سردي وملحمة تاريخية وسردية يصرُّ بطلها العجائبي على أن تُروى للأجيال التي تقف على مسافة زمنية بعيدة عنها، فنحن أمام رسالة (المقتل) يؤديها راوٍ

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

وأبرز رواته أبو مخنف وقد كان عمله يشبه المُراسل الحربي، فهو راوٍ مُشاهد، وهذا مما يميز المقتل عن جميع السرود العربية القديمة، وللمقتل رواة آخرون تناول رواياتهم السيد عبد الرزاق المقرم دراسة وتحقيقا.

ويتضمن المقتل خطابات إيديولوجية هادفة بطريقة غير مصطنعة، وذلك من خلال الجمع بين العجائبية والواقعيَّة في آنٍ معا، فالمقتل حافل بالكرامات المتعلقة بالإمام (عليه السلام) والمكان حوله يتحول إلى مكان عجائبي، ونحن نتعامل مع الكرامة أو المنقبة على أنها نصٌّ سردي وصاحب الكرامة شخصية عجائبية، وأمّا المكان فهو فنيّ وهو أحد مكونات السرد الأساسية في المقتل؛ لذا تناول البحث الفضاء العجائبي في المَقتل على شكل ثنائية: (**فضاء العتبة / الفضاء الواصل**)، وأبرز ما كان في هذه الثنائية: الفرس، والتربة، والرأس الشريف، والرؤيا، والدم، والغراب.

الفضاء العجائبي

إنَّ ((المَقْتَل مَفْعَل مِن القَتْل))[٢]، إذ انّه مُصاغ مِن الفعل الثلاثي المجرَّد (قتلَ) على وزن مَفْعَل[٣]، وهو وزن لاسم الزَّمان و اسم المكان[٤]، إذاً عنوان المادة السردية (مَقْتَل)على وزن (مَفْعَل)، وهذا الوزن إذا اقترن بقرينة زمانية فهو اسم زمان، وإذا اقترن بقرينة مكانية فهو اسم مكان، لكنَّه-في هذا البحث-تجرَّدَ من القرينتين، ويدلُّ ذلك على أنَّهُ يشير إلى اسمي الزمان والمكان في ذات الوقت، ونستنتج من ذلك أنَّ عتبة الملحمة السردية قد مزجَتْ بين الزمان والمكان فيما يُسمّى(الفضاء)الذي طغتْ عليه الصفة العجائبية، لذلك أطلقْنا عليه (الفضاء العجائبي)؛ لأنَّ فيه ((انتقال مِن العاديّ إلى الخارق))[٥]، وسيتناول البحث من خلاله دراسة العتبة والفضاء الواصل والمكان الأليف والمكان المعادي.

أولا : ثنائية فضاء العتبة /الفضاء الواصل

فضـــــاء العتبة:

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

أطلقَ باختين تسمية (فضاء العتبة) على الأمكنة التي تتمثل فيها ((المداخل والممرات والأبواب، والنوافذ المشرفة على الشوارع، كما انهُ فضاء يتمثل الحانات، والأكواخ، والقناطر، والخنادق، والبواخر، والسيارات، والقطارات... كما ان الزمن الموجود في العتبة زمن متأزم، لأنه مشحون بالتوتر والقلق والاضطراب، وطرح الاسئلة المصيرية))[٦]

تأسيسا على ذلك تكون وسائل النقل التي تنقل الانسان الى حيث يشاء فضاءَ عتبة وسيكون أكثر توتراً وقلقاً واضطراباً لو كان عجائبيا كما هو الحال في مادة البحث. ومنها الخيول في المقتل والمهيمن بينها **(جواد الإمام)**، ((والتفت إلى الحر وقال: سرْ بنا قليلاً، فساروا جميعاً حتى إذا وصلوا أرض كربلاء وقف الحر وأصحابه أمام الحسين عليه السلام ومنعوه من السير وقالوا: إنَّ هذا المكان قريب من الفرات، ويقال: بينما هم يسيرون إذ وقف جواد الحسين ولمْ يتحرك كما أوقف الله ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الحديبية فعندما سأل الحسين عن الأرض قال له زهير: سرْ راشداً ولا تسأل عن شيء حتى يأذن الله بالفرج إنَّ هذه الأرض تسمى الطف فقال عليه السلام فهل لها اسم غيره؟ قال تعرف كربلاء، فدمعتْ عيناه وقال اللهم اعوذ بك من الكرب والبلاء ههنا محط ركابنا وسفك دمائنا ومحل قبورنا بهذا حدّثني جدي رسول الله))[٧]

إن وقوف جواد الحسين(عليه السلام)بالكيفية غير المألوفة والباعثة على الدهشة دعاه للاستفهام عن اسم المكان ضمن خبرٍ تضمن ثنائيات ضدية عديدة أهمها **الحركة/السكون** المتمثلة بـــ(ساروا، وصلوا، يسيرون، سرْ) تقابلها (وقف الحر، وقف جواد الحسين(عليه السلام)، لم يتحرك، أوقف..)

ولعل الحركة توحي للحياة / والسكون يعني الموت، فالموت انتقال((مِن الوجود والفعل والحركة إلى الفناء والهلاك والسكون))[٨]، والفناء-هنا-فناء الجسد. وتمثلتْ صور الموت بـــــ(ههنا سفك دمائنا)،(ومحل قبورنا). إنَّ اسم الاشارة (هنا) يشار به الى المكان القريب وهو ذاته الذي

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

سيكون محلا لهم لما بعد الوقوف ليصبحوا بعد سفك دمائهم قبوراً لما تتضمنهُ لفظة قبور من دلالة تصرح بالموت. وزمن النص يشير الى الاستباق، فالقتل لم يحدث بعد لكنه استشراف للمستقبل القريب.

إذن فالوقوف رديف الموت بينما السير رديف الحياة، واستمرار السير يوصل الى الفرات؛ لذلك ((وقف الحر وأصحابه أمام الحسين (عليه السلام)ومنعوه من السير وقالوا إنَّ هذا المكان قريبٌ من الفرات))[٩]

واتَّضحَ في نهاية الخبر أنَّ(كربلاء)اسم منحوت من لفظتين هما(الكرب)و(البلاء)، وهذه الثنائية متلازمة مع الموت وقد ذكر الحسين ذلك في قوله (اللهم أعوذ بك من الكرب والبلاء). وقد تحققت نبوءة الموت إذ قُتِلوا جميعا عطاشا ولم يشربوا من ماء النهر، و يدخل هذا الأمر في إشارة مرجعية مع جيش طالوت إذ شكا جنود طالوت إليه العطش فأخبرهم أن الله مبتليكم بنهرٍ ومن شرب من مائه فليس من أهل ولايتي وطاعتي، وهذه إشارة صريحة إلى انَّهُ ابتلاء من الله سبحانه[١٠] في قولهِ الكريم: ((فلما فصل طالوت بالجنود قال إنَّ الله مبتليكم بنهرٍ فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني...))[١١]، ولفظة بلاء قد وردتْ في الآية المباركة، فكربلاء ونهرها كانت محل امتحان ربانيّ بين خلقه.

إن هجرة الحسين (عليه السلام) الى العراق ووقوف جواده بهذه الهيئة العجيبة استدعتْ إلى الاذهان حضور ناقة النبي(صلى الله عليه وآله) التي وقفت بأمر ربها عند باب (ابي ايوب الأنصاري) عندما هاجر الرسول إلى المدينة بعد أن أراد المشركون قتله في مكة، وقد استقبله أهل المدينة بحشودٍ غفيرة نصروه ودافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم، والإمام (عليه السلام) قد هاجر الى العراق بعد أنْ أمر يزيد بقتله في الكعبة أثناء الحج ((لما بلغ الحسين أن يزيدا أنفذ عمرو بن سعد بن العاص في عسكره وأمّره على الحاج وولاه أمر الخروج من مكة قبل إتمام الحج واقتصر على

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

العمرة كراهية أن تستباح به حرمة البيت))[١٢]، فاقتصر على العمرة وخرج من مكة قاصداً الكوفة لكنه وجد عساكر يزيد تتربص به وبأهل بيته شراً.

والمشهد الثاني للفرس يبرز في هذا الخبر ((وقصد القوم واشتدَّ القتال وقد اشتد به العطش فحمل من نحو الفرات على عمرو بن الحجّاج وكان في أربة آلافٍ فكشفهم عن الماء واقتحم الفرس الماء فلما همَّ الفرس ليشرب قال الحسين: أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتى تشرب! فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ولما مدَّ الحسين يده ليشرب ناداه رجل أتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟ فرمى الماء ولمْ يشربْ وقصد الخيمة))[١٣]

في ذروة الصراع بين قوى الشر وقوى الخير يشتدّ بالحسين(عليه السلام)العطش ويكاد يفتك به فقصد الفرات وكان ممنوعا عليه محاطا بأربعة آلاف جندي، وقد تمكن من عبور منطقة الموت (العطش) وسيلان الدم ليصل الى منطقة الحياة وجريان الماء ـ الذي فاقته سرعة الفرس في المعركةـ ضمن ثنائية **الفرد الشجاع/الجماعة الجبناء** ضمن مشهد يصدح بالقوي والمنتصر في هذه المعركة نافضا عنها غبرة التأريخ...

ووسط ذلك الفضاء المتأزم تجلو نفس الحسين(عليه السلام)السامية على المادة وقد آثر الفرس على نفسهِ في الماء وخاطبه خطاب العقلاء ((أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتى تشرب!))، وغرابة هذا الفعل يقابل بردِّ فعلٍ عجيب إذ تحلى الفرس بأجمل صفات البشر:(الفهم، الشعور)، ففي الخبر (كأنه فهم الكلام)، والفهم والإدراك من نتاجات العقل الذي به قد كُرِّمَ الانسان.

أما الشعور والعاطفة فيصدران من القلب وقد شعر الفرس بعطش الحسين(عليه السلام)... وهنا تتألف ثنائية **العقل(الفهم)/القلب(الاحساس)**. وإذا كان قرب الفرس من الإمام الحسين(عليه السلام) مادياً ومعنوياً قد ارتقى به إلى صفات البشر فالحسين قد سما على واقعهِ المتأزم المتصارع وارتقى بروحه متأملا في فلسفة الحياة والموت وهو يلمس بيده ماء الفرات وسط منطقة الحركة

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

لتنكشف ثنائية (الحياة، الخلود)-وهذه الثنائية تقابل تلك التي عرضها البحث في منطقة السكون (الكرب والبلاء)-اذ آثر الخلود على الحياة وكان ترياقه شربة بكأس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي المقتل تصريح بهذا ((ونادى رافعا صوته: عليك مني السلام أبا عبد الله هذا جندي قد سقاني بكأسه شربة لا أظمأ بعدها أبدا وهو يقول إن لك كأسا مذخورة فأتاه الحسين عليه السلام وانكب عليه واضعا خده على خده وهو يقول: على الدنيا بعدك العفا ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول يعزّ على جدك أن تدعوهم فلا يجيبونك وتستغيث بهم فلا يغيثونك.

ثم أخذ بكفه من دمه الطاهر ورمى به نحو السماء فلم يسقط منه قطرة....))[١٤] وفي القرآن نصوص كثيرة تأكد ذلك منها قوله تعالى((عينا يشرب بها المقربون))[١٥]، المقربون هم أهل البيت عليهم السلام.

والمشهد الثالث للفرس في النص الآتي إذ نجده في صورة عجيبة أخرى مغايرة للسابق بعد سقوط الحسين (عليه السلام) على الارض مضرجاً بدمه والاعداء تحيط به من كل مكان ((وأقبل الفرس يدور حوله ويلطخ ناصيته بدمه فصاح ابن سعد دونكم الفرس فإنه من جياد خيل رسول الله فأحاطت به الخيل فجعل يرمح برجليه حتى قتل أربعين رجلاً وعشرة افراس فقال ابن سعد: دعوه لننظر ما يصنع فلما أمن الطلب اقبل نحو الحسين يمرغ ناصيته بدمه ويشمه ويصهل صهيلاً عالياً. قال ابو جعفر الباقر عليه السلام كان يقول (الظليمة، الظليمة، من امة قتلت ابن بنت نبيها) وتوجَّه نحو المخيم بذلك الصهيل ....))[١٦].

وهنا نلاحظ ((ارتباط الصورة بالبعد البصري))[١٧] إذ نجد الفرس في أوج الحركة-على العكس من مشهده الأول-وأقصى الانفتاح (يدور)،(يرمح برجليه)،(أقبل نحو الحسين)،(يمرغ ناصيته)،(توجه نحو المخيم)،(قتل...).وتمثل الانفتاح بـ(يصهل صهيلاً عالياً) وكان الفرس(فضاء العتبة)متوجهاً نحو المخيم بعد أن مرغ رأسه بدم فارسه ليخبر مَنْ في المخيم بالفجيعة وهو على

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

هيئةٍ غير مألوفة؛ مما جعل العسكر في حالة ذهولٍ مما يصنع وهو في ثورته تلك قد جمع بين صفتين متناقضتين **الحب/الكره** ، فكان يتصرف مع الإمام بمنتهى التعاطف وكان مفجوعاً به، وهذه من الصفات الانسانية، في حين كان وحشاً ضارياً مع الاعداء، وتصرفه هذا جعل منه مركزاً ومهيمناً، فقد لفت انظار الجميع نحوه خائفين من فعالهِ وكأنه تحول الى أسد، وكانت ساحة المعركة له يتحرك فيها كيف يشاء.

إنَّ جملة (دونكم الفرس فإنه من جياد خيل رسول الله فأحاطت به الخيل ...) تفصح بأنَّ القوم قد أرادوا أخذ الفرس كونه ملك لرسول الله(صلى الله عليه وآله)، والفرس يرمز للسلطة والقوة والنفوذ، ومحاولة أخذ الفرس تكشف عن نوايا يزيد وعسكره الخفية؛ لأن الفرس كان سلاحاً من اسلحة الرسول. فهي حربٌ إذنْ ضد الاسلام ورموزه، وهو ما يشبه الانقلاب العسكري والارتداد الديني رجوعاً الى الجاهلية؛ لأنَّ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) كان أشبه بثأر شخصي لأحفاد المشركينَ من بني هاشم، والدَّليل ما قاله يزيد بن معاوية في خطبة السيدة زينب(عليها السلام) وأشارَ إلى ذلكَ إشارة صريحة عبْر مدْح آبائهِ المُشركين.

ونجد النص متضمنا ثنائية من الأشكال الهندسية ولكل منها رمزيته التي سيحاول البحث توضيحها، وأول هذه الأشكال **الدائرة** ولها معان عميقة وغامضة، صانعها الفرس في دورانه حول الحسين (عليه السلام) في لفظة **(يدور)**، وهو فعل مضارع ويدل هنا على الحال والاستقبال وقد كوّن الفرس في بهذا الفعل دائرة مركزها الحسين(عليه السلام)، ((ويشير محيط الدائرة الى اللامتناهي الذي لا تحده بداية أو نهاية))[١٨] وشبيهٌ بهذا المحيط قد أُحيط بالحسين عليه السلام حينما سقط في الميدان مضمَّخاً بدمه وهو خامس أهل الكساء، والرقم خمسة في العربية يكتب على شكل دائرة صغيرة، ولقد وجدنا هذا الرقم متجسداً بالحسين عليه السلام ولكونه يدار حوله يكون مشبها بالشمس فتتكون دائرة تشابه مدار الأرض حول الشمس؛ ليترسخ بذلك مفهوم الخلود

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

الحسينيّ؛ اذ صار مركز الحياة ونورها وهو وسط الدائرة. إذْ أننا لو ((وضعنا نقطة وسط دائرة...سيكون لدينا المحرك الأول للروح))[١٩]. فالحسين كان محور تلك الدائرة ليبدو الحسين في هذه الصورة رديف الشمس، ودمه الجاري شعاعها الذي تهتدي به الامة.

الحسين = الشمس

دم الحسين= نور الشمس

ونرى الفرس يلطخ ناصيته بدمه وكأنَّهُ يتزود بنور الحسين كما تستضئ الأرض من نور الشمس، ولقد استمر هذا الدوران حول الحسين (عليه السلام) فلا يخلو ضريحه من دائرٍ حول ذلك الضريح الطاهر.

وفي النص دائرة أخرى تعقب الاولى وتقف على النقيض منها وهي من صنع الفرس أيضا، لكن هذه الدائرة لأعداء الحسين(عليه السلام)، إذ قَتل أربعين رجلا منهم وعشرة أفراس، ليصبح مجموع القتلى خمسين قتيلا، وهو رقم يُكتَب هكذا (٥٠) ليتبين أنَّ النقطة (الصفر) خارج الدائرة التي يدور محيطها خارج النقطة، فهي تبدو كحلقة مفرغة ظلماء لا نور فيها ولا روح وقد تركت الحق خلفها لتدور حول الظلام ومن مصاديقهِ الباطل والتيه والظلم والجهل ...

والفرس بذا التصرف قد وضع نصب أعين الجميع التباين الكبير بين شمس الهداية وظلام الجاهلية في لوحة فنية جمالية رسمَها على مسرح كربلاء أبدعها بشكل ارتجالي مفصحاً عن الفرق الكبير بين خندق النور حيث الحسين وخندق الظلام حيث يزيد، وأبان ذلك من خلال ثنائية ضدية بين دائرتين كانت إحداهما على النقيض من الاخرى.

ولقد حاولَتْ قوى الظلام في كربلاء أنْ تطفأ جذوة الاسلام بأفواههم وسيوفهم((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون))[٢٠] لذا نجد الحسين(عليه السلام) يأخذ دمه الطاهر ويلقي به نحو السماء ((ثم أخرج السَّهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال: هوَّن عليَّ ما نزل بي أنه بعين الله فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض! ثم وضعها ثانيا فلما امتلأت لطخ به رأسه....))[٢١] ليشع نور الحسين في الارض، ويتجاوزها لتقتبس السماء من نوره من خلال دمه الطاهر الذي صعد إليها، وقد شهد الحاضرون في المعركة بنور الحسين (عليه السلام)، وعبْر ذلك يتأكَّد صدق دعوانا ففي المقتل ((قال هلال بن نافع: كنت واقفا نحو الحسين وهو يجود بنفسه فو الله ما رأيت قتيلا مضمَّخاً بدمه أحسن منه وجها ولا أنور! ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله! فاستسقى في هذه الحال ماءً فأبوا أن يسقوه))[٢٢]، وبقتله عليه السلام قد ازداد نورا وخلد في الارض والسماء وما انتهَتْ تلك الدائرة حوله أبدا، وما استطاع الطغاة-على الرغم من قسوتهم-فكّ تلك الدائرة مطلقاً فكانت عصية على العصاة، وستبقى ما بقي الليل والنهار.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الدائرة قد ظهرت ((في الأعمال الفنية والزخرفية في الحضارات القديمة، وجاء استلهامها من الشمس والبدر وقوس السماء وهو تمثيل مورفولوجي لنواميس كونية مثل دوران الليل والنهار والموت والبعث، وقد ربط بعض منظِّري الفن والعمارة بين الدائرة كشكل ذي بعد ديني وحركة الطواف والدوران حول الكعبة))[٢٣]

وثاني الأشكال الهندسية **المثلث** حيث نجد الانتقال منه الى الدائرة مستهلا بثلاثة أفعال للفرس (**يمرغ**)، (**يشمه**)، (**يصهل**) لتتمّ الأضلاع الثلاثة للمثلث ثم يتوجه نحو المخيم [**خيمة** زينب (عليها السلام)]، والخيمة تأخذ شكل المثلث وهي تمثل فضاء عتبة مملوء تأزماً وقلقاً، وفي الخيمة ثلاثة سيقودون المعركة بعد شهادة الحسين(عليه السلام) وهم الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، وزينب(عليها السلام)، والإمام محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام). وكأن الفرس قد جاء إليهم براية الشهادة؛ ليواصلوا المعركة في بعدها الجديد، فقد جاء الى الخيمة مبعوثا برسالة الى من فيها.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

وعبْرَ كلّ ما رأينا يبدو الفرس مسيراً وجنديّاً من جنود الله وقف بأمر رباني ودار حول الحسين بأمر مماثل ليصنع مواقف بطولية عجيبة عجز البشر عن فهم كنهها ومغزاها.

ثانيا": الفضاء الواصل

ومن أشهر تعريفاته:((ما يربط بين عالمين أو مجتمعين أو ثقافتين أو ما يدل على كلٍّمن هذه، وما يربط مجتمعاً بدائياً بمجتمع صناعي أو ما يدل عليهما، وما يربط الداخل المختنق بالخارج المنفتح))[٢٤]. ومِنْ تجلِّياتهِ في مقتل الإمام الحسين(عليه السَّلام):

أولا": التربة

وكانت (تربة) الإمام الحسين (عليه السلام) فضاءً واصلاً كما في الخبر: ((وقالت أم سلمة: لا تحزنّي بخروجك الى العراق فإنّي سمعت جدك رسول الله يقول: يُقتَل ولدي الحسين بأرض العراق في أرضٍ يقال لها كربلاء وعندي تربتك في قارورة دفعها إليّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ....وقال عليه السلام: يا أماه إن لمْ أذهب اليوم ذهبت غداً وإن لمْ أذهبْ في غد ذهبت بعد غد وما من الموت والله بد، وإني لأعرف اليوم الذي أُقتَل فيه والساعة التي أُقتَل فيها والحفرة التي أُدفَن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر اليك وإن أحببت يا أماه أنْ أُريك مضجعي ومكان أصحابي، فطلبتْ منه ذلك فأراها تربة أصحابه ثم أعطاها من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة فإذا رأتها تفور دما تيقنتْ قتله! وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت الى القارورتين فإذا هما يفوران دما))[٢٥]، إذ ((رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة في المنام أشعثَ مغبراً وعلى رأسه التراب فقالت له: يا رسول الله مالي أراك أشعثَ مغبراً؟ قال قُتِل ولدي الحسين وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه، فانتبهتْ فزعة ونظرتْ إلى القارورة التي فيها تراب أرض كربلاء فإذا به يفور دما وهو الذي دفعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها وأمرها أن تحتفظ به .....))[٢٦]

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

إنَّ التربة الواردة في الخبر هي جزء من أرض كربلاء وهذه التربة عجيبة؛ لأنها قد جمعت بين مجتمع المدينة المنورة وكربلاء حينما تحول الجزء إلى دم عبيط في نفس الوقت الذي قُتِل فيه السبط(عليه السلام) (بعد الظهر)، فعلِمَ أهل المدينة أنَّ الحسين(عليه السلام)قُتِلَ من خلال رمزية التحول، وهذا الخبر أكبر من التجربة، إذْ نلاحظ ((حضور العناصر العجائبية))[٢٧]؛ فلمْ يحدث أمر مماثل من قبْل، ويشير ذلك إلى ضراوة الصراع وعظم الموقف وأنَّ العنف والقسوة قد بلغا الذروة وكان للقتل في العاشر من المحرّم أساليب واشكال لمْ تعهدْها الإنسانية منذ بداية الخلق.

وعجائبية التربة مقتبسة من عجائبية شخص الإمام، فقد رأى كربلاء وقبره وقبور أصحابه وأراه لأم سلمة وهو في المدينة، وهو فعل يبعث على الدهشة والاستغراب. فالحسين(عليه السلام) شخصية عجائبية؛ فهو يملك ما لا يملكهُ البشر في زمانهِ من القوة والمعجزات، وكان بإمكانه أن يفجر تلك القوى-التي حباها الله فيه-في كربلاء ليحمي نفسه لكنَّهُ آثر حماية الدين على نفسه.

تنمي ثنائية **التراب/الدم** عجائبية التربة من خلال تحوّل التراب الى دم، وهذا التحوّل يوحي بخلق جديد وتحوّل كوني آخر، كما هو حال خلق آدم(عليه السلام) الذي خُلِق من طين(تراب)ثم تحولَ الى لحم ودم إيذانا ببداية الخلق(الحياة)، حينئذٍ أمرَ الله الملائكة بالسجود لآدم امتثالاً لأمره تعالى فسجدوا إلا ابليس ((وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين))[٢٨]، فالتحول الثاني للتراب إلى دم مع انه مرتبط بالموت إلا أنَّه كان يوحي ببداية جديدة للبشرية وضَعَتْهم بين مفترق طرق: امّا ملائكة أو شياطين. والحسين(عليه السلام)يمثل مركز الكون وسر وجوده، ومَنْ في ركبهِ كانوا معه كما كانت الملائكة مع آدم(عليه السلام)، أما يزيد فهو الشيطان الذي أبى طاعة المولى، ولم يتمكن الشيطان هذه المرة من إخراج خليفة الله من جنتهِ، ومنذ الملحمة حتى اللحظة لازالت جموع المُحبّينَ ساجدة لله على تلك التربة المقدسة.... ذلك التراب الذي تحول من حالته الصلبة الثابتة الى أخرى سائلة، فالدم سائل يجري يوحي بالحركة المستمرة

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

المغمورة بالدفء، ففي الوقت الذي توقفَ فيه قلب الإمام نبَضَ قلب الإنسانية بالإسلام، ولم يحضَ الحسين بالحياة وحسب، بل حضي بالخلود الأزلي بعد أن صارع (الشيطان) والموت. ومن الجدير بالذكر أنَّ المعركة لمْ تنتهي عند كربلاء بل لاتزال مستمرة...

ثانيا: الرأس الشريف

وكان رأس الإمام الحسين (عليه السَّلام) قد ربط بين عالم الأموات وعالم الاحياء عندما كان يتلو القرآن الكريم ويخاطب الناس بهيئة عجيبة: ((قال زيد بن أرقم: كنت في غرفة لي فمروا عليَّ بالرأس وهو يقرأ:((أم حسبت أنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا))[٢٩] فوقف شعري وقلت: والله يا ابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب))[٣٠]، ((وحدث ابن وكيدة أنه سمع الرأس يقرأ سورة الكهف فشكَّ في أنه صوته أو غيره فترك القراءة عليه السلام والتفت إليه يخاطبه: يا ابن وكيدة أما علمت أنّا معشر الأئمة أحياء عند ربهم يرزقون؟. فعزم على أن يسرق الرأس ليدفنه.

وإذا الخطاب من الرأس الأزهر: يا ابن وكيدة ليس الى ذلك من سبيل إنَّ سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييري على الرمح فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون))[٣١]، ((قال المنهال بن عمرو: رأيت رأس الحسين بدمشق على رمح وأمامه رجل يقرأ سورة الكهف حتى إذا بلغ الى قوله تعالى:((أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا))[٣٢] نطق الرأس بلسان فصيح: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي.

ولمّا أمر يزيد بقتل رسول ملك الروم حيث أنكر عليه فعلته نطق الرأس بصوت رفيع "لا حول ولا قوة إلا بالله"))[٣٣].

وهنا نلاحظ أسلوب((السَّرد الوصفي التصويريّ))[٣٤]، إذ جاء واصفاً تلكَ الصور العجائبية. إنَّ الأفعال الخارقة لقوانين الكون التي تحدث على يد الانبياء والأولياء لا تعني خروجاً عن مبدأ الحقيقة

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

والصدق لأن معيار العجب محكوم بسياق ما[٣٥] والسياق (المقتل) إسلامي حافل بالمعجزات، فالله يخرق قوانين الكون المألوفة على يد الأنبياء والأولياء متى يشاء.

ولقد أسس يزيد لـ (ثقافة) قطع الرؤوس وهي سنة من سننهِ الجائرة، وتوحي ثقافة فصل الرأس عن الجسد بعزل العقل والسمع والبصر واللسان عن الأهواء والرغبات، ففي العقل يميز الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، و الجزء العلوي من الجسد، (الرأس) بما فيه هو القائد والمتحكم بالجزء السفلي؛ لذلك كان يرنو ضرب مركز التحكم في النموذج الإسلامي النبوي(الرأس المقدس) وهذا النموذج كان يمثل مركز الإسلام حينذاك واستهدافه يعني استهداف الأمة، وبقطعه لا يبقى من تلك الأمة إلاّ الجسد برغباتهِ وغرائزهِ ليكون الحكم عندها للجسد لا للرأس، ليزيد دون الحســـين (عليه السلام) خلافا لمعطيات الإسلام وقفزاً على أحكامه؛ ولذلك أمر برؤوس آل علي(عليه السلام)ظناً منهُ أنَّهُ قد قضى على نسل النبي (صلى الله عليه وآلـه) ليوطِّد حكمه القائم على اطلاق العنان للرغبات والملذات.

لقد كشفتْ ثنائية **الرأس/الجسد** الضدية مكان يزيد تحت مظلة الاسلام، فهو الذنَب مقابل مكانة الحسين السامية وما يمثلهُ بالنسبة للإسلام، ورغم أنَّ يزيد قد قطع الرأس إلاّ انَّهُ لم يتمكنْ من تحقيق مآربهِ؛ فلمْ يمتِ النموذج الإسلامي بل على العكس قد حُرّرَ من قيود الزمان والمكان ليكون مخلداً على مدى الدهور والأزمان في صدور المؤمنين، وبرهان ذلك أنَّهُ ينطق بالقرآن الكريم كما كان يفعل قبل عاشوراء ويخاطب الناس كالأحياء تماما، وأدرك يزيد فشله وهزيمته إذ لمْ يستطع القضاء على الاسلام لذلك ((أخذ يزيد القضيب وجعل ينكت ثغر الحسين ويقول يوم بيوم بدر))[٣٦].

كانتْ بدر المعركة الأولى بين (الجاهلية والاسلام)، وكانت الغلبة فيها للإسلام، ويزيد قد انتصر للجاهلية يوم كربلاء ليعيد ما كان لبني أمية من الحظوة والرياسة حيث قال:(يوم بيوم بدر)، وقد استشفى من الرسول (صلى الله عليه وآله) في ولده الحسين(عليه السلام)، وهو إذْ يضرب فم

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

الحسين يضرب القرآن؛ ((ذلك الفم الذي كان رسول الله يقبّله، وهي صورة تعكس الشرخ المتعاظم بين الديني والدنيوي في الإسلام ذلك الشرخ الذي بدأ من خلافة أبي بكر وبلغ اكتماله بملك يزيد بن معاوية))[٣٧]

ثالثا: الرؤيا

لقد شاهدنا مشاهد عنيفة جداً طلَّتْ علينا برأسها من خلال الفرس والتربة والرأس الازهر وما هو آتٍ أشدّ عنفاً وايذاءً لآل البيت وأكثر تعجيباً، اذْ يبدو العنف غاية بحدِّ ذاته ومتعة ترنو إليه السلطة آنذاك، فقد مارستْ بحق الامام الحسين(عليه السلام)العنف الجسدي والمعنوي فقتلتْه مظلوماً عطشاناً مثخنا بالجراح مسبيّ العيال مشرد الأطفال، ولمْ تكتفي بذلك، فقد عُذِّب عليه السلام بعد أنْ فارقَتْ روحه الحياة فسحقوا صدره وضربوا ثناياه وحاولوا التمويه عما جرى في كربلاء ((ذلك أن السلطة تمجد العنف وتقدس الوضوح... والغياب في الأعمال أكثر من الوضوح))[٣٨].

ولقد حاولَ البحث الغوص في أعماق أخبار المقتل منتقلاً بأفكارهِ إلى زمن مضى محاولاً الكشف عن الحقيقة المغيبة والمتوارية خلف النصوص السردية فوجدها ناصعة مضيئة بحروف المقتل لمْ يؤثِّرْ بها الزمن وكأنها ابنة اليوم وهي تبدو واضحة لذي عينين...

ومن الأخبار التي عرَّتْ سلطة يزيد أمام جمهوره أخبار تسرد رؤيا تعجبية منها:

((فبينما هو كذلك إذ دخل عليه جاثليق النصارى وكان شيخاً كبيراً فنظر الى رأس الحسين عليه السلام وقال: ما هذا أيها الخليفة؟

فقال هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فبم استوجب القتل؟

قال: لأنّ أهل العراق دعوه للخلافة....

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

فقال له جاثليق النصارى اعلمْ أنّي كنت الساعة في البقعة راقداً إذ سمعتُ رجفة شديدة فنظرتُ فإذا بغلام شاب كأنّهُ الشمس وقد نزل من السماء ومعه رجال فقلتُ لبعضهم من هذا فقال: رسول الله والملائكة يعزونه بولده الحسين عليه السلام.

ثم قال: ارفع الرأس من بين يديك يا ويلك وإلّا أهلكك الله.

فقال له يزيد الملعون جئتنا بأحلامك الكاذبة؟

يا غلمان خذوه.

فجعلهم يسحبونه ثم أمر بضربه... فنادى يا أبا عبد الله اشهدْ لي عند جدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

فغضب يزيد لعنه الله فقال اسلبوه روحه.

فقال يا يزيد... فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله واقف بإزائي وبيده قميص من نور وتاج من نور وهو يقول لي ليس بيني وبينك أن أتوجك بهذا التاج وألبسك هذا القميص إلاّ أنْ تخرج من الدنيا ثم أنت رفيقي في الجنة وقضى نحبه رحمه الله))[٣٩]

في النص ثلاث رؤى:

الأولى: عينية (بصرية)في مشهد الرأس المبارك بين يدي يزيد(لعنهُ الله).

الثانية: رؤيا منام وهي الأساس، إذ من خلالها تمَّت الهداية والتحول من المسيحية الى الإسلام بعد مطابقتها مع البصرية، حينئذ انكشفتِ الحقيقة أمام ذلك النصراني فكان مخيراً بين اثنين الحق والباطل(الحسين ويزيد)، وباختياره الأول ارتقى درجة عالية فرأى في يقضته مالا يستطيع غيره رؤيته. وعملية الانتقاء هذه تدلّ على وعيه وإدراكه وثقافته، فهي((لا تفسِّرها دوافع شخصية وإنما كذلك وبالخصوص، دوافع ثقافية))[٤٠].

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

الثالثة: البصيرة إذ رأى رؤيا واقعية غير متاحة إلا لهُ حينما رأى النبي(صلى الله عليه وآله) يتحدث إليه ويهديه تاجاً وقميصاً....

ومن المقتل في هذا المضمار: ((وسار من زبالة حتى نزل بطن العقبة وفيها قال لأصحابه: ما أراني إلاّ مقتولاً فإني رأيت في المنام كلاباً تنهشني وأشدها علي كلب أبقع))[٤١]

المكان هو الطريق الى كربلاء من(زبالة) الى(بطن العقبة)، والفضاء الواصل هنا(رؤيا المنام) التي ربطتْ بين عالمين(**عالم الدنيا/عالم الذر**)، (**الأرض/السماء**)، (**الحاضر/المستقبل**)، وفي الرؤيا نبوءة حيث مقتله وجاءت صورة قاتليه بهيئة كلاب والشمر كلب أبقع، فالأوصاف-هنا- ((تتخطى البعد التأريخي، ولها قدرة الشمول والديمومة والثبات))[٤٢].

وضمن ثنائية (**الفرد/الجماعة**) في النص نرى الحسين (عليه السلام) وحيداً تحيط به مجموعة جرّدتْ نفسها من الصفات الإنسانية لتظهر بصورة كلاب، واستخدم لفظة (تنهشني) بمعنى تقطع لحم جسدي، ويظهر بذلك عنفهم واستمتاعهم بتعذيبه عليه السلام وكأنّ قتلهم إياه يشبعهم، فبالمال غُرِروا، ورأوا في قتله غناهم وسعادتهم في الدنيا كما وعدهم يزيد.

وكلمة (أبقع) الواردة في النص تشير الى ثنائية ضدية، فالأبقع مااختلف لونه، فيه سواد وبياض، ويدل ذلك على التناقض في أفعالهم وأقوالهم...

وكانت تلك الرؤيا قد وصلت بين مكانين وزمانين، وقد تكررت في سحر ليلة عاشوراء: ((وفي السحر من هذه الليلة خفق الحسين خفقة ثم استيقظ وأخبر أصحابه بأنه رأى في منامه كلاباً شدت عليه تنهشه وأشدها عليه كلب أبقع وأن الذي يتولى قتله رجل أبرص.

وأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول له أنت شهيد هذه الأمة وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى وليكن افطارك عندي الليلة ولا تؤخر فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء))[٤٣]

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

مكان الرؤيا كربلاء وزمانها قبيل صبح العاشر من المحرم، يرى الحسين(عليه السلام)رؤيتين الأولى متكررة نفس الرؤيا في النص السابق تماماً، أما الرؤيا الثانية فهي متعلقة بالرسول (صلى الله عليه وآله) وتمثل هذه الرؤيا فضاءً واصلاً بين السماء والأرض كما أوصلَتِ الحاضر بالمستقبل.

وتتضمن الرؤيا الثانية ثنائيات: **الارتفاع** و**الانخفاض** متمثلة بـ(**السماء/الأرض**)، وثنائية **الموت** و**الخلود** متمثلة بـ(**دمك/خضراء**)، فالأخضر لون ثياب أهل الجنة المخلدين فيها((...ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ...))[٤٤]

رابعاً : الدم

الدَّم في المقتل يندرج ضمن العجيب ((بما يحمل مِن ثنائية الموت والحياة))[٤٥]، إذْ لا يستجيب لجاذبية الأرض بل بخضع لجاذبية معاكسة وهي جاذبية السماء، ونجدها في نصوص كثيرة وهي خاضعة لتصرّف الإمام الحسين(عليه السلام)مع دماء الشهداء من أهل بيته ودمه عليه السلام، من ذلك هذا الخبر: ((ودعا بولده الرضيع يودعه، فأتتْهُ زينب بابنهِ عبد الله وأمهِ الرباب. فأجلسه في حجره يقبله ويقول: بعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفى خصمهم ثم أتى به القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهمٍ فذبحه فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحو السماء.

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) فلمْ تسقطْ منه قطرة .....))[٤٦]

الدم هنا فضاء واصل بين السماء والأرض، فقد ربط هذين العالمينِ بصعوده العجيب إلى السماء بدل النزول طبيعياً الى الأرض.

مكان هذا الحدث العجيب هو كربلاء، وزمانه يوم عاشوراء، وبطله طفل رضيع يواجه الموت بسبب العطش يطلب والده له الماء ليبقى على قيد الحياة، فيبارزه رجل قاتل فيحصل الطفل على

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

الموت بدل الحياة فالصراع هنا بين (**الحياة/الموت**). فالماء يعني الحياة، ومنعه يعني الموت، لكن حرملة (لعنه الله) قد عجّل للطفل بالموت فقتله بسهمٍ من بعيد ليشهد بذلك على نفسه بالجبن...

ثم قال الحسين (عليه السلام): ((هوّن ما نزل بي أنه بعين الله اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل صالح....اللهم أنت الشاهد على قومٍ قتلوا أشبه الناس برسولك محمد(صلى الله عليه وآله) وسمع عليه السلام قائلاً يقول: دعهُ يا حسين فإن له مرضعاً في الجنة ثم نزل(عليه السلام)عن فرسه وحفر بجفن سيفه ودفنه مرملاً بدمه وصلى عليه ويقال وضعه مع قتلى أهل بيته))[٤٧]

إنه إذاً شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله، واسمه (عبد الله)، فهي حرب مع الله ورسوله لتكون العبودية ليزيد لا لله؛ ليسلب العباد حريتهم ويطفئ جذوة الإسلام ويعيد أمجاد بني أمية في الجاهلية.

ودم الحسين (عليه السلام) في الآتي: ((ولما ضعف عن القتال وقف يستريح فرماه رجلٌ بحجرٍ على جبهته فسال الدم على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه رماه آخر بسهمٍ محدد له ثلاث شعب وقع في قلبه فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ورفع رأسه الى السماء وقال إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيٍّ غيره!!

ثم أخرج السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب فوضع يده تحت الجرح فلمّا رمى به نحو السماء وقال: هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله فلم يسقط من ذلك الدم قطرة الى الأرض! ثم وضعها ثانية فلمّا امتلأتْ لطّخ رأسه ووجهه ولحيته وقال: هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا مخضبٌ بدمي وأقول: يا جدي قتلني فلانٌ وفلان))[٤٨]

نلاحظ ((مُطاوعة اللفظ المعنى))[٤٩]، إذْ إنّ استخدام الحجارة والسهم في قتالهم مع الحسين (عليه السلام)دليل جبنهم وشجاعته وخوفهم منه، إذْ ((يرسم هذا المنطوق صورة لفروسيَّتِهِ))[٥٠] على الرَّغم مِنْ أنَّهُ منهكٌ بسبب العطش والجوع والمصائب التي جرت على أهله وأصحابه...

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

وقد استهدفوا جبهته عليه السلام حيث موضع السجود وكأنّ المستهدف الصلاة، ثمّ أصابوا قلبه موطن اليقين والإيمان. وإلى جانب (الصلاة واليقين) نلاحظ (العقل، الجبهة، والقلب)، حيث التفكّر والمحبة. وبالعقل فُضِّلَ الإنسان على سائر المخلوقات وبتغييبهِ يتحول البشر الى أدوات وعبيد...

ووسط هذه الأجواء المؤلمة يحضر العجائبي الذي بات متكرراً في طيات المقتل: ((فوضع يده تحت الجرح فلمّا امتلأتْ رمى به نحو السماء وقال: هون عليَّ ما نزل بي أنه بعين الله فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض....))[٥١]. فالدم فضاء واصل بين الأرض والسماء بعدم سقوطه إلى الأرض، وهذا الفعل تكرَّرَ ثلاث مرات في المقتل، فقد فعل الأمر عينه مع علي الأكبر(عليه السلام)[٥٢].

أما السماء فلها ردٌّ على هذا الفعل يظهر بعد استشهاد الحسين (عليه السلام): ((ومطرت السماء دماً فأصبحت الحبابُ والجرارُ وكلُّ شيءٍ ملآناً دماً وحتى بقي أثره على البيوت والجدران مدة ولم يرفع حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط حتى بيت المقدس....))[٥٣]. ففي هذا النصّ فضاء واصل بين السماء والأرض تحمَّلَ غضب الله لهذه الجريمة النكراء، فالله مع الحسين، والأمة التي اسرجتْ لقتالهِ مع الشيطان.

خامساً: الغراب

هو الغراب الذي طار من كربلاء وأوصل بين مدينتين (كربلاء والمدينة المنورة) حاملا خبر الشهادة ((وحديث الغراب المتلطخ بدم الحسين وقد طار الى المدينة ووقع على جدران فاطمة ابنة الحسين الصغرى، ومنه استعلمَتْ قتل أبيها (عليه السلام) ولمّا نعته إلى أهل المدينة قالوا جاءتْ بسحر بني عبد المطلب وما أسرع أن جاء الخبر بشهادته))[٥٤]. إنه رابط آخر يربط بين هاتين المدينتين (كربلاء والمدينة) ناقلاً خبر الشهادة في الزمان نفسه، وقد جمع المكانينِ في المأساة ذاتها.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

وفعْل الغراب ذاك يفوق التجربة ويخرج عن المألوف، إذْ نلاحظ ((المفارَقة لِما هو مألوف في التجربة))[٥٥]؛ لذلك قد رُمِيَتْ فاطمة الصغرى بالسحر.

وقد أصبح الغراب شاهداً للمرة الثانية على أقسى جريمة في تاريخ البشرية بعد جريمة قابيل الذي قتل أخاه هابيل، وكربلاء تعيدنا للمرة الثانية إلى بداية الخلق وقد كان سبب هذه الجريمة صراع بين الحق والباطل (الخير والشر) ولخلافة الأرض فالله قد ((أمر آدم أن يعيّن وصيه هابيل (عليه السلام) فلّما علِم قابيل اعترض على أمر التعيين فأخبره آدم أنَّ الأمر من الله وليس منه وأمرهم بتقريب قربان إلى الله فقرّب هابيل كبشاً سميناً وقرّب قابيل سنابل تالفة فتقبل قربان هابيل وأكلته النار فتسعّر الحقد في نفس قابيل على هابيل))[٥٦]. وقال المولى في محكم التنزيل: ((واتلُ عليهم نبأ ابني آدم إذ قرّبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين))[٥٧] .

وتخلَّفَ قابيل عن دفن أخيه هابيل بعد أنْ أرداهُ قتيلاً فانبرى له الغراب ليحثه على ذلك ((فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه))[٥٨]. وفي معركة الطف رأى غرابٌ الحسين عليه السلام ابن رسول الله وخليفته في أرضه قتيلاً لمْ يوارَ الثرى ولعل ذلك قد أغضب الغراب مشهده على تلك الحالة ولم يستطع أن يفعل ما فعله من قبل من أجل هابيل لذلك بُعثَ الى بيت الحسين(عليه السلام)في المدينة حيث فاطمة ابنته ليعلمها بما جرى لعها تفعل شيئاً من أجل دفنه...

وهكذا تجلّى الفضاء الواصل عبْر مصاديقِهِ التي وقفَ البحث عندها وبيَّنَ مكنوناتها.

الخاتمة

الحسين عليه السلام مركز الكون والمهيمن فيه، وكان يستضاء به لكشْف دجى الظلم، فهو نور الله الذي أتمَّهُ بعدما أرادوا اطفاءه فبقي خالداً مشعاً، فمن كان معه كان مع الله ومن كان مع يزيد

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

كان مع الشيطان، وكان المقتل حافلا بالكرامات العجائبية فيما جرى مع الحسين (عليه السَّلام) وأهل بيته وأصحابه قبل الواقعة وخلالها وفيما بعدها. وقدْ أصبح فضاء المقتل عجائبياً وكان الحسين (عليه السلام) الشخصية العجائبية الفذة التي قادت الأحداث بحكمة وشجاعة لم يسبق لهما نظير. وكان في قصة المقتل إشارات مرجعية في الديانات السماوية وآلام الانبياء واحزانهم ومظالم أقوامهم قد اجتمعت بشخص الحسين (عليه السلام).

ومن نتائج البحث مايأتي:

١- قد كان المقتل أول ملحمة درامية في تاريخ النثر العربي، وقد لاحظَ اندماج الزمان والمكان العجائبيين فيه وقد كانت أحداثه العجائبية ثرية جدا.

٢- المقتل يندرج ضمن أيام العرب، وهو أحداث يوم الطف وما تعلّق به، وكشفتْ أخباره الدوافع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والوثنية لقيام يزيد بقتل الحسين (عليه السلام).

٣- يتجلّى الفضاء العجائبي عبر ثنائية (فضاء العتبة/الفضاء الواصل) وأبرز مصاديقه في المَقتل: (الفرس، والتربة، والرأس الشريف، والرؤيا، والدم، والغراب).

٤- يندرج العجائبي في نصِّ المقتل ضمن العجائبي الديني وسياقه حافل بالمعجزات التي خرق الله بها قوانين الكون على أيدي أنبيائه وأوصيائه وأوليائه.

٥- نلاحظ التأكيد على ثنائية الخير والشر منذ بداية الخلق(هابيل وقابيل)و(الحسين ويزيد).

٦- إنَّ ثقافة العنف عند بعض المتشددين كانتْ في يوم الطَّف في أوضح صورها وأكثرها دموية وقسوة.

٧- غاية المقتل إخبار الأجيال عمّا جرى على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) يوم الطف، فكانت أخبار المقتل تُنقَل نقلا حياً من أرض المعركة.

الهوامش:

[١] – موسوعة مَقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ص٤١٧.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

[٢] – لسان العرب، ابن منظور الافريقي، ج٣، ص٣١٣٤، مادة قتل.

[٣] – ينظر: المعجم المفصَّل في علم الصَّرف، إعداد راجي الأسمر، مراجعة أميل بديع يعقوب، ص١٢٣، ١٣٦، ١٣٧، ٣٨٣.

[٤] – ينظر: موسوعة النحو والصرف والإعراب، أميل بديع يعقوب، ص٦٣٨.

[٥] – فتنة المتخيّل، محمد لطفي اليوسفي، ج٢، ص٩٠.

[٦] – قضايا الفن الابداعي عند دستوفيسكي م.ب باختين، الترجمة د: جميل نصيب التكريتي، ص٢٤٩،٢٥٠.

[٧] – المقتل ، ص٢١٠.

[٨] – التأملات في الخلق والمحيا والممات، سالم القمودي، ص١٤.

[٩] – المقتل، ص٣١٤

[١٠] – ينظر: نظام الزمان العربي (دراسة في التاريخيات العربية الاسلامية)، سليم رضوان، ص١٢٢

[١١] – البقرة: ٢٤٩.

[١٢] – المقتل، ص١٨٠

[١٣] – المصدر نفسه، ص ٣٠٥

[١٤] – المصدر نفسه، ص ٢٨٨

[١٥] – المطففين : ٢٨

[١٦] – المقتل، ص٣١٤

[١٧] – الكلام والخبر،(مقدمة للسرد العربي)، سعيد يقطين، ص١٩.

[١٨] – الحكمة السرية للرموز،فيليس ايمينك، ترجمة غياث غازي www.maaber

[١٩] – المصدر نفسه.

[٢٠] – التوبة : ٣٢.

[٢١] – المقتل، ص٣٠٩.

[٢٢] – المصدر نفسه، ص٣١٢.

[٢٣] – الرمزية والتعبير في الزخارف الاسلامية www.womanfpl.com

[٢٤] – الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ابراهيم جنداري، ص ١٢٣.

[٢٥] – المقتل ص١٤٦، ١٤٧.

[٢٦] – المصدر نفسه، ص ١٤٦.

[٢٧] – بلاغة التزوير(فاعلية الإخبار في السَّرد العربي القديم)، لؤي حمزة عباس، ص١٦٨.

[٢٨] – البقرة :٣٤.

[٢٩] – الكهف: ٩.

[٣٠] – المقتل، ص ٣٦٩.

[٣١] – المصدر نفسه، ص٢٧٠.

[٣٢] – الكهف: ٩.

[٣٣] – المقتل، ص٣٧١.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

[٣٤] – السَّرد العربي القديم(الأنواع والوظائف والبنيات)، إبراهيم صحراوي، ص١٦٤.

[٣٥] – ينظر: مجلة الخطاب، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والادب منشورات فجر تحليل الخطاب/جامعة مولود معمري تيزي اوزو– العدد العاشر، جانفي ٢٠١٢، عنوان البحث (الخبر في السرد العربي وقضايا التصنيف)، رشيدة عابد، المركز الجامعي، البويرة، ص٢٩.

[٣٦] – المقتل، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

[٣٧] – نظام الزمان العربي، دراسة في التاريخيات العربية الإسلامية، سليم رضوان، ص١٢٣.

[٣٨] – لذة النص رولان بارت ، ترجمة د: منذر عياش، ص١٣.

[٣٩] – المقتل، ص١٣٧.

[٤٠] – الحكاية والتأويل، عبد الفتاح كليطو، ص٧٦.

[٤١] – المقتل، ص١٩٨.

[٤٢] – المحاولات السردية، عبد الله ابراهيم، ص١٠٨.

[٤٣] – المقتل، ص٢٤١.

[٤٤] – الكهف : ٣١

[٤٥] – صورة اللون في الشِّعر الأندلسي، حافظ المغربي، ص١٨١.

[٤٦] – المقتل، ص٣٠٢.

[٤٧] – المصدر نفسه، ص٣٠٣.

[٤٨] – المصدر نفسه، ص٣٠٩.

[٤٩] – فنون النثر الأدبيّ في آثار لسان الدّين بن الخطيب(المضامين والخصائص الأسلوبية)، محمد مسعود جبران، المجلَّد الثاني، ص٢٠٣.

[٥٠] – خطاب النثر العربي: بلاغة التشكيل والتأويل، احمد يحيى علي/ احمد عبد العظيم روحية، ص٣٧.

[٥١] – المقتل، ص٢٠٩.

[٥٢] – ينظر: المقتل، ص٢٨٨.

[٥٣] – المقتل، ص٣٢٦.

[٥٤] – المصدر نفسه، ص٣٢٧.

[٥٥] – قال الرّاوي(البنيات الحكائيَّة في السِّيرة الشَّعبية)، سعيد يقطين، ص٩٩.

[٥٦] – منتديات أنصار الله، قصة هابيل وقابيل vb.almahdyooh.org

[٥٧] – المائدة : ٢٧.

[٥٨] – المائدة : ٣١.

المصادر والمراجع:

١– القرآن الكريم

٢– بلاغة التزوير(فاعلية الإخبار في السَّرد العربي القديم)، لؤي حمزة عباس، منشورات الاختلاف، الجزائر/الدّار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

٣- التأملات في الخلق والمحيا والممات، سالم القمودي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٤- الحكاية والتأويل، عبد الفتاح كليطو، دار توبقال، المَغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٥- خطاب النثر العربي: بلاغة التشكيل والتأويل، احمد يحيى علي/ احمد عبد العظيم روحية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٦- السَّرد العربي القديم(الأنواع والوظائف والبنيات)، إبراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر/الدّار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧- صورة اللون في الشِّعر الأندلسي(دراسة دلالية فنِّية)، حافظ المغربي، حافظ المَغربي، دار المناهل، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.

٨- فتنة المتخيّل، محمد لطفي اليوسفي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٩- الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ابراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٠- فنون النثر الأدبيّ في آثار لسان الدّين بن الخطيب(المضامين والخصائص الأسلوبية)، محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١١- قال الرّاوي(البنيات الحكائيَّة في السِّيرة الشَّعبية)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٢- قضايا الفن الابداعي عند دستوفيسكي م.ب باختين، ترجمة: د.جميل نصيب التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

١٣- الكلام والخبر(مقدمة للسرد العربي)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٤- لذة النص، رولان بارت، ترجمة: منذر عياش، مركز الانماء الحضاري، باريس، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م.

١٥- لسان العرب، ابن منظور الافريقي المصري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٦- المحاولات السردية، عبد الله ابراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 34 No.2 Mar. 2021

١٧- المعجم المفصَّل في علم الصَّرف، إعداد راجي الأسمر، مراجعة أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٨- موسوعة النحو والصرف والإعراب، أميل بديع يعقوب، انتشارات استقلال، طهران، الطبعة الرابعة.

١٩- موسوعة مقتل الإمام الحسين(عليه السَّلام)، تحقيق:السيد عبد الرزاق المقرم، الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، الشيخ عبد الوهاب الكاشي، الشيخ عبد الزهراء الكعبي، العلامة ابو مخنف، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٢٠- نظام الزمان العربي، دراسة في التاريخيات العربية الاسلامية، سليم رضوان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

الدوريات:

٢١- مجلة الخطاب، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والادب، منشورات فجر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي اوزو، العدد العاشر جانفي ٢٠١٢م، عنوان البحث(الخبر في السرد العربي وقضايا التصنيف)، رشيدة عابد، المركز الجامعي البويرة.

مصادر الانترنيت:

٢٢- الحكمة السرية للرموز، فيليس ايمينك، ترجمة غازي غياث www.maaber

٢٣- الرمزية والتعبير في الزخارف الاسلامية، www.womanfpl.com.

٢٤- منتديات أنصار الله، قصة هابيل وقابيل، vb.almahdyooh.org